إحياء التراث وتحقيقه ونشره
تحقيق تاريخ دمشق لابن عساكر نموذجاً

أ. د. صلاح كزّارة
- جامعة حلب ـ سوريا

التراث العربي الإسلامي هو ذاكرة الأمّة، وعنوان هويتها، بل هو مكوّن مهم من مكونات الشخصية. ويعد إحياؤه وتحقيقه ونشره ضرورة علمية قومية إنسانية، فهو حقل خصب لرفد الحاضر وإغنائه وربما صياغته وبنائه واستشراف المستقبل. [1]

والمقصود بإحياء التراث العربي الإسلامي- في بحثنا هذا- طباعة الكتب المخطوطة المعروفة باللغة العربية في مختلف العلوم والفنون والمعارف[2] ، أو إبراز نصوص المخطوطات المكتوبة باللغة العربية ونشرها بعد تحقيقها تحقيقا علميا وفق الأصول والقواعد المتعارف عليها في هذا الشأن [3] ، أم في إعادة الحياة إليها بطباعتها مجرد طباعة بعد تصحيحها حيناً [4]، أو إغفال ذلك التصحيح في معظم الأحيان، كما نرى اليوم في كثير من المطبوعات التجارية.

يتناول «إحياء التراث» كل ما خلّفه لنا الأجداد في مختلف المجالات الثقافية والأدبية والعلمية، هذا التراث الذي مازال معظمه قابعاً في

المكتبات العامة والخاصة والمساجد والأديرة وغيرها من الأماكن يبحث عمّن ينفض عنه غبار السنين، ويخرجه من عالم النسيان إلى عالم التذكّر ومن عالم الظلمة إلى عالم النّور. [5] ولكن يحسن بنا قبل الحديث عن تاريخ إحياء هذا التراث بالمفهوم الذي أوردناها والدافع إليه أن نحدد المراد بـ «التراث العربي الإسلامي». أمّا كلمة (التراث) لغةً واصطلاحاً فلن نعيد ما ذكره الباحثون حولها. [6] وأمّا « العربي الإسلامي» فهو: كما يقول عبد السلام هارون كل ما كتب باللغة العربية، وانتزع من روحها وتيارها قدراً بصرف النظر عن جنس كاتبه، أو دينه، أو مذهبه، فإن الإسلام قد جبّ هذا التقسيم وقطعه في جميع الشعوب القديمة التي فتحها، وأشاع الإسلام لغة الدين فيها وهي اللغة العربية التي لوّنت الشعوب بلون فكري واحد متعدد الأطياف هو الفكر الإسلامي، وهو الفكر العربي.[7]

فالتراث «عربي» لأنّه كتب باللغة العربية ابتداءً أو نقلاً من السريانية والفارسية والهندية واليونانية وغيرها. وهو «إسلامي» لأنّه يعبر عن الفكر الإسلامي، وينطلق من المنطلقات الإسلامية، ويخدم الثقافة الإسلامية، ونشأ بين المسلمين. [8] ولكن ليس كل التراث الإسلامي عربيا من حيث اللغة، فهناك لغات غير عربية تحفل بالتراث الإسلامي. [9]

أمّا الدافع إلى إحياء التراث العربي الإسلامي في عصرنا هذا فكان دافعاً قومياً قبل أن يكون علمياً، بسبب طغيان الثقافة الأوروبية من جهة ، والنفوذ التركي من جهة أخرى. فأراد العرب أن يحسّوا بكيانهم المستمد

من كيان أسلافهم، في الوقت الذي ألفوا فيه الغرباء من الأوروبيين يتسابقون في نشر كنوز الثقافة العربية[10]، وكذلك كان من الدوافع الكبيرة إلى إحياء التراث ونشره الرغبة القوية في النهوض والإصلاح، ثم ملاحقة التطور الأوروبي الذي تناهت أصداؤه وثماره من خلال الغزو وإرسال البعثات.[11]

لقد لبس إحياء التراث العربي الإسلامي ثوباً جديداً بسبب النشاط السريع الذي تمثّل بإنتاج المطابع الحديثة، إذ يرتبط إحياء هذا التراث باختراع آلة الطباعة منذ القرن الخامس عشر الميلادي على يد الألماني يوهانس [يوحنا] غوتنبرغ [1397-1468]م، وكان ذلك سنة 1436م .[12] فكان هذا الاختراع إنجازاً حضارياً كبيراً وإيذاناً ببدء عصر جديد من انتشار العلم والتقاء الحضارات، وتبادل الثقافات، كما كان هذا الاختراع البديل العظيم للنسخ والوراقة اللذين كانا السبيل الوحيد لانتقال المعرفة وذيوع العلم.[13] ويعلق محمود الطناحي على ظهور المطبعة وعلاقتها بنشر التراث العربي الإسلامي قائلا: « وحين ظهرت المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي، كان المستشرقون من أسبق الناس إلى طبع الكتاب العربي. وإن المرء ليعجب من غزارة ما طبعوه من تراثنا، وكأن هذا الاختراع العظيم إنما جاء لخدمة ذلك التراث وحده، وإذاعته ونشره، وكأنه لم يكن بين أيدي الناس في تلك الأيام من تراث الإنسانية إلا تراث العرب».[14]

أما الطباعة العربية في أروبا فقد كان مهدها الأول في إيطاليا منذ أوائل القرن السادس عشر، إذ ظهرت أول مطبعة تطبع بحروف عربية في مدينة فانو على ساحل الأدرياتيكي سنة 1514، وقد احتفل البابا ليون العاشر بافتتاحها لدى نشرها أول كتاب بحروف عربية، وهو «صلاة السواعي» في 12 أيلول (سبتمبر) 1514[15] . ثم طبعت بعد ذلك كتب تعدّ من أقدم الكتب العربية المطبوعة مثل الكافية في النحو لابن الحاجب، طُبع في مطبعة مديتشي في فلورنسا سنة 1592، وكذلك كتاب القانون في الطب لابن سينا 1593، وكتاب التصريف للزنجاني سنة 1610. ثم أخذت المطابع العربية في الانتشار في العواصم الأوربية المختلفة، انتقلت بعد ذلك إلى الآستانة [إستنبول]، التي كانت أسبق مدن الشرق إلى الطباعة، ثم انتشرت في بلاد الشام منذ أواسط القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر، ثم في مصر مع مجيء الحملة الفرنسية عام 1798م .[16]

ويرى بعض الباحثين أن الطباعة العربية في أروبا ما كانت لتنشر لولا ارتباطها ارتباطاً وثيقاً بصناعة الكاغد أولاً، وحُمّى التنصير ثانيا، والهيمنة الاستعمارية ثالثا، وتطور الاستشراق ووصوله إلى نظام مبني وفق قواعد منظمة رابعا. ويوضح ذلك بالقول: «لو لم يصنع الكاغد في أوربا لما كانت هناك طباعة، ولو لم يكن الاستعمار الأوربي بضروبه المختلفة لما كان هناك مجال للتنصير المنظّم، ولو لم يكن الاستشراق والتنصير لما كانت هناك طباعة عربية في أوربا».[17]

ويذهب الباحثون عموما إلى أن المطبوعات العربية في أوربا منذ القرن السادس عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر غلب عليها الطابع التبشيري التنصيري خصوصاً في القرنين السادس عشر والسابع عشر، إذ كانت موجهة لتعليم المبشّرين اللغة العربية التي هي أهم وسائل عملهم، فتعلّم العربية -كما يقول ريموند لول- يسهّل تنصير المسلمين.[18] ولما طبع كتاب التصريف للزنجاني بمطبعة مديتشي سنة 1610 قدّم له يوحنا ريمونديس بمقدمة أكّد فيها أهمية تعلّم اللغة العربية لأغراض تنصيرية لأنّه لا يكاد يوجد جزء في العالم لا يستعمل هذه اللغة .[19] أما في القرن الثامن عشر فقد نشرت فيه -إلى جانب الكتب التبشيرية- بعض النصوص التراثية مثل تاريخ أبي الفداء المختصر في أخبار البشر، وتقويم البلدان، وسيرة صلاح الدين لابن شداد وكتب اللطيف البغدادي الطبية، ولكنها لم تحظ بالعناية الكافية ولم تتوفر لها الشروط العلمية الصحيحة التي ستظهر في القرن التاسع عشر، وكانت النسخ التي تطبع من كل كتاب قليلة جداً، حتى في الكتب التي طبعت بعد ذلك وتوفرت لها شروط النشر الصحيحة، ذلك أن المستشرقين ما كان ليهمهم أن ينتشر الكتاب على نطاق واسع، بل كانوا يطبعون ما تحتاج إليه مراكز الاستشراق.[20] ويخلص بنا القول إلى أن نشر التراث العربي في أوربا قبل القرن التاسع عشر كان يهدف إلى تعليم اللغة العربية، والحرص على طباعة الكتب التعليمية المعنية على ذلك بدوافع تبشيرية وأهداف تنصيرية واستعمارية، كما أن ما نشر منه لم تتوفر له شروط النشر العلمي الصحيح.[21]

منذ أوائل القرن التاسع عشر أخذت عناية المستشرقين بنشر التراث العربي الإسلامي بصورتها الجادّة، وتجلّت جهودهم في خدمة هذا التراث -كما يقول الطناجي- في اتجاهات ثلاثة: نشر النصوص، والتعريف بالمخطوطات، ودراسة الفنون وأعلام التراث. وقد ظهر أثر الاتجاهين الأخيرين في مؤتمرات المستشرقين، ومجلاتهم المتخصصة، ودوائر المعارف.[22] وما يعنينا هنا هو جهودهم في تحقيق التراث ونشره. وما كان لهذه الجهود لتنضج وتؤتي أكلها إلا بعد أن بدأ اهتمام الأوروبيين منذ القرن الخامس عشر بإحياء آدابهم القديمة اليونانية واللاتينية، وتطوّر نقد النصوص من شعر وغيره ليتحول إلى علم من جهة، وإلى صناعة واصطلاح من جهة أخرى. فراحوا ينشرون هذه النصوص القديمة دون أن يكون لهم -كما يقول المستشرق الألماني برجشتراسر- منهج معلوم ولا قواعد متّبعة حتى القرن التاسع عشر حين وضعوا أصولاً علمية لنقد النصوص ونشر الكتب القديمة مستنبطين هذه القواعد من الآداب اليونانية واللاتينية، ثم آداب القرون الوسطى الغربية، فألّفوا المقالات والكتب في فن نقد النصوص، ثم استعمل المستشرقون - بعد زملائهم بمدة- تلك الأصول وتلك القواعد في نقد الكتب العربية والشرقية ونشرها.[23]

وهكذا ظهر في هذا القرن المستشرقون العظام الذين انتهجوا تلك الأصول وطبّقوا تلك القواعد في تحقيق الكتب العربية ونشرها، فكان جهدهم العلمي في إحياء التراث جهداً لا يستطاع إنكاره، فكانوا -كما

يقول عبد السلام هارون–«أساتذة الجيل الحاضر في الطريقة العلمية التي جروا عليها». ويذكر هارون أمثلة لهؤلاء، «العلماء الأمناء الذين قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربي على الوجه الأمثل ومنهم: وستنفلد الألماني الذي ألّف وحقّق نحو مئتي كتاب بين صغير وكبير، وبيفان الإنجليزي ناشر نقائض جرير والفرزدق... ولايل الانجليزي محقق شرح المفضليّات لابن الأنباري مع ترجمة شعرية لها باللغة الانجليزية، وجاير النمساوي محقق ديوان الأعشى والأعشين الآخرين في عناية فائقة وتخريج مستفيض[24]». ويشيد محمّد كرد علي - مؤسس المجمع العلمي بدمشق بمئات المستشرقين النابغين في العربية وآدابها الذين كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة، بما أحيوا من كتب العربية القديمة، وخدموها بمعارضتها على النسخ المتعددة، وبوضع الفهارس المنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة، ومنهم تعلّمنا هذه الطريقة.[25] «ويذكر في مقالة أخرى أنّه: «لولا عناية المستعربين بآثارنا لما انتهت إلينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة، وطبقات الحفّاظ، ومعجم ما استعجم، وفهرست ابن النديم... ولولا إحياؤهم تاريخ ابن جرير [الطبري] وابن الأثير وأبي الفداء والمسعودي... لجهلنا تاريخنا الصحيح، وأصبحنا في عناية من أمرنا. ولو جئنا نعدّد حسنات دواوين الشعر أو كتب الأدب والعلم التي أحيوها لطال بنا المطال.[26]

ولكن هذه المواقف المشيدة بجهود المستشرقين والمبيتة مالهم من أثر واضح لا سبيل إلى إنكاره في خدمة التراث العربي، ما كان ليرضي

الكثير من الباحثين الذين وقفوا من الاستشراق والمستشرقين موقف العداء والحطّ والتجاهل، إن لم نقل الإنكار، وليس من غرضنا هنا أن نعرض لما كتبه أعداء الاستشراق من كتب ومقالات، ولا أن نذكر الاتهامات والانتقادات الكثيرة التي كيلت للمستشرقين ولنواياهم ولأعمالهم. وما يهمّنا في هذا الجانب -جانب نشر التراث وتحقيقه- أن هناك من يرى أن المستشرقين ليسوا هم من وضع أصول تحقيق النصوص ولا التقعيد لها، ولا صناعة الفهارس الفنية التي ينسبها الكثيرون إليهم. ويرون أن المستشرقين إنما هم عالة على علمائنا القدامى، والمنصف من هؤلاء كعبد السلام هارون الذي وصفهم بأنهم أساتذة الجيل الحاضر في الطريقة العلمية التي جروا عليها، يرى أن تحقيق النصوص وتوثيقها فن عربي أصيل، يتجلّى في معالجة أسلافنا الأقدمين لرواية كتب الحديث واللغة والشعر والأديب والتاريخ في دقة وأمانة ونظام بارع، ولكن المستشرقين تبنّوا إحياء هذا الفن في هذه العصور القريبة».[27]

وينقل الطناحي عن بعض العلماء المعاصرين الذين اعترفوا بفضل المستشرقين في إحياء التراث العربي ونشره وفق المناهج العلمية الدقيقة، ولكنهم نظروا فيما استحدثه المستشرقون من مناهج، وما أصلّوه من قواعد، فإذا هو «منتزع من داخل التراث نفسه، موصل الأسباب والنتائج بما صنعه الأوائل، والمستشرقون أنفسهم يعرفون ذلك حق معرفته».[28] ويعلّق شوقي ضيف على صنيع اليونيني في إخراج صحيح البخاري بعد أن فصّل الكلام عليه قائلاً: وإحراج اليونيني لصحيح البخاري على هذا

النحو يدل بوضوح على أن أسلافنا لم يبقوا لنا ولا للمستشرقين شيئاً يمكن أن يضاف بوضوح في عالم تحقيق النصوص.[29]

وقد سبق كل هؤلاء الشيخ أحمد محمّد شاكر حين قال في تقديم «جامع الترميذي» الذي أخرجه في ثلاثينيات القرن الماضي: «إن هؤلاء الأجانب لم يكونوا مبتكري قواعد التصحيح، وإنما سبقهم إليها علماء الإسلام المتقدمون، وكتبوا فيها فصولاً نفسية، نذكر بعضها هنا، على أن يذّكّر القارئ أنهم ابتكروا هذه القواعد لتصحيح الكتب المخطوطة، إذ لم تكن المطابع وجدت، ولو كانت لديهم لأتوا من ذلك بالعجب العجاب».[30] وبعد أن يشيد الشيخ بما امتازت به مطبوعات المستشرقين من العناية بوضع الفهارس المرشدة للقارئ والتفنن في أنواعها، يرى أن الناس اغترّوا بصناعة المستشرقين في الفهارس وظنّوا أنّها شيء لم يعرفه علماء الإسلام والعربية.[31]

إحياء التراث وتحقيقه في العصر الحديث

لاشك أن الأمم الحية تهتم بتراثها في مظاهره كلها، ويعد التراث المكتوب[المخطوط] حجر الأساس في نهضة أية أمة، فهو التعبير الأصيل عن حضارتها وتاريخها ومنجزاتها. وهذا شأن تراث الأمة العربية. فلا عجب أن ينهض أبناء هذه الأمة لإحياء هذا التراث تحدوهم دوافع شتى سبق الحديث عنها، ولا ضير أن نذكر منها أن التفاتنا إلى تراثنا بدأ مع حركة اليقظة التي لاحت بوادرها في القرن الثامن عشر، حيث أدرك

روادها أن ارتباط اليقظة بجديد الغرب وحده، بفقدها عنصر الأصالة الذي ترتهن به صحتها وسلامتها، فلم تنفصل حركة إحياء التراث عن حركة اليقظة اليومية، ولا قامت بمعزل عنها، وإنما كانت عنصراً أساسياً في برنامجها، وموقعاً من مواقع النضال في الميدان الذي تقاسمه الرواد فيما بينهم.[32] ولم يغب عن رواد النهضة أنهم أمام تراث ضخم ينبغي إحياؤه، واستلهام قيمه وذخائره في حركاتهم القومية، والسياسية، والاجتماعية للخروج من الحالة التي آلت الأمة إليها أواخر الحكم العثماني.

لقد قُدّر هذا التراث الضخم بثلاثة ملايين مخطوطة في تقدير المقلين [33]، وبأكثر من خمسة ملايين في تقدير المكثرين[34] فشمّر أبناء هذه الأمة سواعد الجد لإحياء هذا التراث إثر دخول المطبعة إلى ديار العرب والمسلمين، وابتداء طباعة الكتب العربية فيها، وذلك بعد مرور أكثر من مأتي سنة على طباعة الكتب العربية في أوروبا بحروف عربية[35]، وما ذلك إلا لأن مكتبات الأوروبيين ومتاحفهم كانت عامرة بالمخطوطات العربية الإسلامية التي وجدت طريقها إلى هذه المكتبات والمتاحف بطرق شتى لا يعنينا الخوض فيها، وحسبنا أن نذكر ما نقلته الدكتورة بنت الشاطئ عن الأستاذ الرئيس محمد كرد علي:«كتب الأستاذ السيد محمد كرد علي - رحمه الله - في خطط الشام: ومن المصائب التي أصيبت بها كتب الشام، أن بعض دول أوربا ومنها فرنسا وجرمانيا وبريطانيا وهولانده وروسيا، أخذت تجمع مند القرن السابع عشر كتباً - من تراثنا - تبتاعها من الشام بواسطة وكلائها وقناصلها والأساقفة والمبشّرين من رجال

الدين. وكان قومنا ولاسيما من اتّسموا بشعار الدين ومن كان يرجع إليهم أمر المدارس والجوامع، بلغ بهم الجهل والزهد في الفضائل أن يفضلوا درهماً على أنفس كتاب، فخانوا الأمانة واستحلوا بيع ما تحت أيديهم أو سرقة ما عند غيرهم والتصرف به كأنه ملكهم».[36] وتعلق بنت الشاطئ قائلةً: وهكذا تسرّبت أكثر البقية من كنوزنا إلى الغرب ونحن نيام، وأُبيحت ذخائر تراثنا للأجانب دون أن يجدوا من يصدّهم عنها، فذهبوا بها على مرأى منا ومسمع، وكان كل نصيبنا من ثمن البضاعة قروشاً معدودات لحرّاس الكتب وخدّام دور العبادة. وفرصة للتندّر بحمق أولئك [الخواجات] المغفلين الذين تستهويهم مخطوطات قديمة صفراء لا قيمة لها في حسابنا».[37] ولكن ما ضاع أيضاً من هذا التراث بسبب غفلة الناس وجهلهم وتفريطهم، والنكبات التي حلت بهذه الأمة منذ المغول والصليبيين، والصراعات المذهبية شيء كثير جداً.[38]

توالت على أية حال إصدارات الكتب منذ دخول المطبعة إلى القسطنطينية أولاً ثم إلى لبنان فسورية[39]، فمصر التي تأخر دخول المطبعة إليها حتى سنة 1798 مع الحملة الفرنسية التي جلبت معها مطبعة كانت تطبع المنشورات والأوامر الرسمية في عرض البحر، ولكنها لم تتم طويلاً فخلقتها مطبعة بولاق التي أنشأها محمد علي باشا عام 1821 وكان لها شأن أي شأن في نشر الكتب عامة وكتب التراث العربي الإسلامي على وجه الخصوص.[40] ثم انتشرت المطابع في مصر وفي سائر البلاد العربية والإسلامية، وخرج عنها كتبٌ تراثية كثيرة كان نشرها نشراً

بدائياً، لم تحظَ بالعناية اللازمة من التحقيق والتدقيق والفهرسة[41]، وحسبنا أن نحيل إلى بحث الدكتور صلاح الدين المنجد الذي تحدث فيه عن: منهج نشر التراث في أوائل القرن الرابع عشر الهجري[42]، وإلى كتاب الدكتور محمود محمد الطناحي الذي أحلنا إليه مراراً: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، لنقف على حقيقة معظم هذه المطبوعات، والتي كان لمصر وحدها إنتاج ضخم منها، إذ طبعت خلال ثمانين عاماً(1822-1900)- أي منذ تأسيس مطبعة بولاق- (8844) عنوانا، تمثل تقريباً شطر ما طبع من الكتب العربية خلال أربعة قرون.[43] لقد كان لمطبعة بولاق نشاط ظاهر في طبع مئات من الكتب في الطب، الرياضة، الطبيعة، الفنون الحربية التاريخ، الأدب والشعر، التفسير، الحديث، وغيرها[44]، حتى ليذكر بعض الباحثين أن «الوجه العربي الإسلامي للطباعة لم يظهر إلا في مطبعة بولاق في مصر وكان إنشاؤها في مصر صيحة مدويّة أيقظت الغافلين، ومركز ضوء باهر هدى الحائرين»[45]، كما أن «الذين قاموا على نشر كتب التراث بتلك المطبعة كانوا يستهدفون غاية ضخمة، هي إبراز كنوز الفكر العربي الإسلامي، فعمدوا إلى نشر الأمهات والأصول في كل علم، ولم يطغ فن على فن».[46]

تمثل مطبعة بولاق - كما يقول الطناحي - الباب الواسع الذي دخل منه العرب إلى النهضة الحديثة، كما تمثل في الوقت نفسه البعث الحقيقي لتراث الآباء والأجداد[47]، ولقد كان المصححون العظام في هذه المطبعة

أمثال الشيخ نصر الهوريني ومحمد قطة العدوي وإبراهيم عبد الغفّار الدسوقي ومحمد الحسيني ومحمد عبد الرسول إبراهيم[48]، كانوا الطلائع الأولى والممهدّين الحقيقيين لظهور الطبقة الأولى من المحققين الكبار فيما بعد، من أمثال أحمد تيمور أحمد زكي (شيخ العروبة) الذي ظهرت على الكتب التي حققها كلمة (تحقيق) لأوّل مرّة[49]، ومحب الدين الخطيب، ثم الطبقة التي تلت هذه، وكانت طبقة شوامخ المحققين والأفذاذ من الرجال، أمثال: أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر وعبد السلام هارون والسيد أحمد صقر وعبد العزيز الميمني ومحمد ابن تاويت الطنجي وسعيد الأفغاني وأحمد راتب النفاّخ وشكري فيصل وصلاح الدين المنجد ومحمد بهجة الأثري ومصطفى جواد وإحسان عبّاس وغيرهم من أقرانهم وتلامذتهم الذين جاؤوا بعدهم، فكانت تحقيقاتهم الرصينة تضاهي إن لم نقل يفوق بعضها تحقيقات المستشرقين أنفسهم. ولكن لا يسعنا أن نغفل الإشارة إلى تأثرهم بأعمال المستشرقين وبما استحدثوه من مناهج في تحقيق النصوص قبل أن ينهد كثير من العلماء المعاصرين لوضع كتب كثيرة تقعّد للتحقيق وأصوله.[50] ومع انتشار المحققين في أرجاء البلاد العربية والإسلامية، كان لابد من صيحات تنادي بتوحيد الجهود ورسم الخطط ووضع المناهج[51]، فكان أن تأسس معهد المخطوطات العربية في مصر، ومعهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب، ومركز إحياء التراث العلمي العراقي في جامعة بغداد، ومركز الوثائق والمحفوظات في الجامعة الأردنية ومركز المخطوطات والتراث

والوثائق بدولة الكويت، ومركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي وغيرها من المراكز الرسمية والأهلية، هذا فضلاً عن المجامع العلمية وفي مقدمتها المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية حاليا)، والمجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية في القاهرة، والمجمع الأردني إلى غير ذلك من مؤسسات حكومية كوزارات الثقافة والإعلام في بلدان مختلفة.

إن ثمرات هذه الجهود الكبيرة سواء أكانت جهود أفراد أم هيئات ومراكز ومجامع، كان لما حققته من هذا التراث تحقيقاً علمياً ونشرته نشراً متقناً أثر كبير في خفوت اهتمام المستشرقين بالتراث والسعي في تحقيقه ونشره. وقد لاحظ بعض الباحثين « أن نسبة المنشور عربيا تزداد في وقت تتناقص فيه نسبة المنشور استشراقيا. وتكاد تصل نسبة ما ينشره المستشرقون إلى8.5% من مجموع المنشور وهي في تنازل مطّرد» .[52] إنّ التفات العرب والمسلمين إلى تراثهم والعناية به وإحيائه بات حقيقة مؤكدة، تستنهض الهمم وتدعو إلى إعادة التراث إلى مقراته الأولى في العواصم العربية والإسلامية مع العناية به والرقابة عليه.

ومع كل ذلك لابد من معايير لإحياء هذا التراث، والمعيار الرئيس استكمال العلم بالتراث وأنه «لا يبعث إلاّ ما كان يضيف إلى علمنا بالتراث علمًا جديداً، وأنّه لا يبعث إلاّ ما كان مفيداً ذا جدوى وأنّ ما يُبعثُ لا يبعَثُ إلاّ من أجل أن يتحول إلى حالة تثقف عامّ» .[53] وفي ختام هذه الفقرة نردد القول إنّ إحياء التراث«أدّى وظائف مهمة على الصعيد

اللغوي والأدبي والاجتماعي والحضاري تمثلت في شحن الذاكرة الاجتماعية، واستنهاض الهمم ومنح الذات قدرا من الثقة في التعامل مع التحديات المصيرية المستجدة» .[54]

أما ما آل إليه إحياء التراث وتحقيقه ونشره اليوم، فلا يسعنا إلاّ أن نقول:«لا حول ولا قوة إلاّ بالله!» فقد غدا تحقيق الكتب التراثية ونشرها عملاً تجارياً قبيحاً، يحسنه قلّة قليلة من الأفراد، ويتطفل عليه الكثرة الكاثرة من الأدعياء الجاهلين. ولا أجد هنا خيراً مما قاله الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في وصف حال مشابهة لما نحن فيه، قال رحمه الله:«وكُسِر سياج العلم، فغدا كل متفرج على كتب الحديث محدّثا، وكل مُشتمّ لشمّه من العلم محققاً، واندلقت الكتب الغثاء من المطابع، واختلط الجيد بالرديء، والضار بالنافع.!» [55]

هذا كتاب من كتب التراث - مثلاً - هو «فقه اللغة» للثعالبي طبع قديماً مراراً(1858م ـ .1861م، 1284هـ، 1880م)[56]، نجد له اليوم في الأسواق عشر طبعات أو أكثر، تحمل أسماء عشرة من المجاهيل وكلهم يزعم لنفسه التحقيق والشرح والضبط، وكلهم عيال على الطبعة التي حققها مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، ونشرتها مكتبة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة عام 1937 ثم أعادت نشرها منقحة في طبعة ثانية عام 1954. فلم تدع طبعات هؤلاء الأدعياء مجالاً لانتشار طبعة علمية محققة تحقيقاً متقناً صدرت في جزأين عن مكتبة الخانجي في القاهرة عام 1994، أنفق محققها خالد فهمي أربع سنوات في دراستها

وتحقيقها، وقدمها - في الأصل - أطروحة علمية إلى كلية الآداب بجامعة عين شمس تحت إشراف المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب، والأمثلة كثيرة على النشر التجاري المزيف الذي يقوم على السطو والإغارة على أعمال الآخرين. والقائمون على هذه المنشورات من أصحاب دور النشر المختلفة لا يرعون ولا ذمّة، فهم يغيّرون على كتب تراثية كثيرة، سواء قام على تحقيقها محققون أجلاء أنفقوا في سبيلها ما أنفقوا من جهد ووقت ومال، أم كانت المطبوعات قديمة لم تحظ بأي شرط من شروط النشر العلمي الصحيح، فيعيدون صفّها وطباعتها من جديد بعد أن يغتالوا أسماء محققيها وأسماء ناشريها الأوائل بالطبع، ويعيدونها في حلة بهيّة جديدة، مزدانة بالتجليد الفخم، وموشاة بالألوان الزاهية، وليس فيها شيء من التحقيق والضبط المزعومين، بل تنتشر فيها الأخطاء والتصحيفات والتحريفات الفاحشة!! وحسبنا أن نشير - مثلاً - إلى عشرات الدواوين لشعراء جاهلين وإسلاميين وأمويين وعباسيين يتكرر إصدارها من دور نشر مختلفة، والديوان الواحد يصدر عن أربع أو خمس دور حاملا أسماء أربعة أو خمسة من أدعياء التحقيق، ونعزف عن ذكر أسماء الدور أو من يزعُم أنهم محققون، لأننا لا نبتغي التشهير والتجريح.

تاريخ دمشق لابن عساكر

وتاريخ دمشق لابن عساكر مما وقع فريسة النشر التجاري الزائف لبعض دور النشر في بيروت. وقبل تفصيل الحديث في ذلك تشير إلى أنه ليس من هدفنا أن نتكلم في هذه الوريقات على هذا التاريخ العظيم أو نعرف به، فحسبنا ما ذكره شيوخ أجلاء[57] فوصفوه بأنه ليس تاريخ دمشق وحدها، بل هو «تاريخ بلاد الشام، بل هو تاريخ الأمة العربية... وهو تاريخ حضاري لهذه البلاد كلها التي انتشر فيها الإسلام وسادت العربية... وهو تاريخ حضاري لهذه البلاد كلها التي انتشر فيها الإسلام وسادت العربية...وهو تاريخ للعالم الإسلامي كله... وهو تاريخ المدن كافة، فلم يظهر في التاريخ العربي كتاب مثله في الضخامة والسّعة والإحاطة، ولم يلحق به في تاريخنا مثله»، إلى غير ذلك مما قيل فيه. كذلك لا نريد تكرار التعريف بمؤلفه الحافظ الكبير هبة الله علي بن الحسن المعروف بابن عساكر (499-571هـ)، ففي كتاب ابن عساكر: في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته، وفي كتاب: الحافظ ابن عساكر محدّث الشام ومؤرخها الكبير كل الغناء.[58] أمّا طبع الكتاب ودور المجمع العلمي العربي(مجمع اللغة العربية حالياً) بدمشق في نشره فيحدثنا عن ذلك شيخنا الجليل المرحوم الدكتور شكري فيصل في تقديمه الجزء الذي صدر عام 1977، الخاص بتراجم حرف العين المتلوّة بالألف من عاصم إلى عايذ، قائلاً:[59] «كان طبع تاريخ دمشق للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف

بابن عساكر (499-571هـ) من أعلى ما تمناه المجمع وعمل له وُسْعه..» كان يفكّر فيه ويقدُر له ويُعدّ العُدة لإخراجه، وقضى شطراً من دهر يتهيّأ له: يدرس نسختيه الخطيتين في دار الكتب الظاهرية ويستبين له ما فيهما من نقص أو تحريف لحداثة عهدهما، فيستقري النسخ الأخرى المبعثرة في خزائن المخطوطات في الشرق والغرب، ويجهد في طلبها من هنا وهناك، حتى إذا بلغ من ذلك المبلغ الذي رأى أنه يساعده على أن يخرج بالفكرة من القوة إلى الفعل، وأن يجوز بالمشروع منطقة النظر إلى حيّز التنفيذ والعمل، دعا إليه نخبة من جِلّة العلماء وأفاضل المحققين لمشاركته فيه ومعاونته عليه.

كانت تلك أولى محاولاته في هذا السبيل، وهي المحاولة التي حدثنا عنها الأستاذ الرئيس محمد كرد علي في تصديره للمجلدة الأولى، فأشار إلى الدواعي التي دفعت المجمع لنشر هذا التاريخ وقال فيها «حافظ المجمع على تجزئة المصنّف وسيكون التاريخ في ثمانين مجلدة كل مجلدة عشرة أجزاء من الأصل، تدخل في نحو تسعمائة صفحة من القطع الكبير».

ثم أشار الدكتور فيصل إلى أن هذه المحاولة تمثلت بالذي نشره المجمع من هذا التاريخ بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، المجلدة الأولى عام 1951، ثم القسم الأول من المجلدة الثانية عام 1954، والنشرتان كلتاهما تؤلفان مقدمة ابن عساكر لتاريخه الكبير. ثم توقف العمل في نشر الكتاب حتى عام 1963 فصدرت المجلدة العاشرة بتحقيق الشيخ محمد أحمد دهمان تضمنت التراجم المبدوءة بحرف الباء والتاء وبعض الثاء.

تولى الدكتور شكري بعد ذلك الإشراف على طبع الكتاب فأراد أن ينهض بهذا المشروع الضخم، بعد أن أوكل إليه زملاؤه في المجمع هذه المهمة، ففصل القول في هذا التاريخ وجوانبه المختلفة التي تجعل منه تاريخاً حضارياً للأمة، فهو يؤرخ للجاهلية وللسيرة النبوية ويترجم للخلفاء الراشدين، «ومن الطبيعي أن يكون كتاب ابن عساكر أغنى المصادر عن تاريخ الأمويين، ولكن تاريخ الأمويين ليس تاريخهم فحسب، وإنما هو تاريخ العرب والمسلمين في الفترة التي كانت فيها دمشق عاصمة الحياة العربية». وبعد أن يبين أهمية الكتاب لدراسي التاريخ الأندلسي يذكر أن هذا التاريخ «يمتد في المكان امتداد بلاد الشام... ثم يجاوز ذلك ليكون على امتداد الوطن الإسلامي والثقافة الإسلامية». كما يمتد في الزمان ليسجل أطرافاً من تاريخ الجاهلية حتى وفاة ابن عساكر في أواخر القرن السادس الهجري «571». ثم يختم هذه الفقرة ببيان موقف أعضاء المجمع حين عزموا على نشر هذا الكتاب فهم: «لم يفكروا فيه لأنه كتاب من كتب التراث فحسب، فما أكثر ما في هذا التراث من كنوز أخرى، وإنما فعلوا ذلك لأنهم كانوا يريدون أن يكتب التاريخ الحضاري والفكري والسياسي لبلاد الشام من خلال هذه المصادر التي ضاعت والتي احتفظ ابن عساكر بها كلها أو بأقسام كثيرة منها في نقوله عنها. كما كانوا ينظرون إلى أن تجديد كتابة التاريخ لهذه الأقطار العربية الإسلامية لا يمكن أن يمضي على أساس سليم مضيء ما لم يظهر تاريخ ابن عساكر إلى النور وأن يوضع موضع المدارسة والممارسة».

عرض شيخنا - رحمه الله - بعد تبيان موقف المجمع من نشر الكتاب، إلى أولى المحاولات التي تصدّت لتاريخ ابن عساكر في العصر الحديث، وهي محاولة الشيخ عبد القادر بدران (المتوفى سنة 1346هـ/1927م) نشر «التاريخ الكبير للحافظ... ابن عساكر»، فعرّف الدكتور شكري بعمل بدران وذكر الانتقادات الكثيرة التي وجهت لهذا العمل[60]، مختتمًا كلامه بقوله: «وأيّاً كان الرأي في عمل الشيخ بدران -رحمه الله- فقد كان خطوة رائدة إذا ما تمثلنا الظروف الثقافية التي وجد فيها، والأوضاع الاجتماعية التي كانت من حوله...) فقد كان وجه الفضل الأكبر أن عرف الناس الكتاب وأدرك الباحثون منهم قيمته في إغناء بحوثهم وردفها بالكثير»

تحدث الأستاذ بعد ذلك عن الكتاب وضخامة أجزائه التي لم تكن وحدها الصعوبة التي واجهت العمل أو واجهت العاملين فيه، فالأصول مبعثرة، وليس هناك نسخة واحدة كاملة، وإنما اجتمع منه لدى المجمع نسخ ناقصة وأجزاء متفرّقة فأخذ في وصفها وتبيان أماكنها، ثم تحدّث عن مختصرات الكتاب وأنّها لا تغني عن الأصل، فالمختصر كتاب جديد له روحه الخاصة وله مذاقه الخاص و«مختصرات الكتاب ليست الكتاب عينه، وإنما هي كتاب جديد يصنعه صاحبه المختصر»، ويختتم الكلام على ما يراه من نهج ينهجه هو والفريق الذي اختاره للعمل معه في تحقيق هذا الجزء، معرفاً بالأجزاء المخطوطة المعتمدة في تحقيق هذا الجزء، وبعض الضوابط في إخراج الكتاب.

وفي عامي 1981 و1982 أخرج المجمع جزأين من الكتاب بتحقيق أستاذنا الدكتور شكري فيصل وبعض طلابه، كما أصدر في عام 1984 الجزء الأول من السيرة النبوية تلاه الجزء الثاني منها عام 1992 وكلاهما بتحقيق السيدة نشاط غزاوي، ثم تتابع نشر الأجزاء المختلفة التي قاربت الخمسين جزءاً تحمل تواريخ من ثمانيات القرن الماضي حتى عام 2008، فكان الجزء الخاص بترجمة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- آخر ما صدر عن المجمع في العام الماضي بتحقيق رياض عبد الحميد مراد ومحمود الأرناؤوط وياسين الخطيب، وما زالت بقية الأجزاء موزعة على بعض المحققين الأفاضل والمأمول إنجاز تحقيقها في وقت قريب إن شاء الله.[61]ويقتضي الإنصاف أن ننوّه بما بذلت السيدة سكينة الشهابي- رحمها الله- من جهودٍ خارقة في تحقيق الأجزاء الكثيرة من هذا الكتاب، قاربت العشرين جزءاً نهضت وحدها بعبء تحقيقها، وهي تأسف أسفاً شديداً لأن «هذا الكتاب(كتاب ابن عساكر)الذي ولد في دمشق وصنع في دمشق والذي كتبه ابن المؤلف بخطه مرتين لا يوجد منه بخط القاسم سوى قطعةٍ صغيرة، هذه القطعة الصغيرة لا يوجد منها ولا ورقة واحدة في مدينة دمشق، والموجود بخط القاسم إما في المكتبة الأزهرية بمصر، وإما خارج المدن العربية حكماً وهي تحمد الله - على كل حال - أنها عملت بجهد فردي شخصي حوالي ربع الكتاب».[62]

هذا ما كان من عمل مجمع اللغة العربية بدمشق في نشر هذا التاريخ الكبير على المنهج العلمي الدقيق الذي وضعته لجنة نشر هذا التاريخ في

المجمع، وذكره الدكتور صلاح الدين المنجد في تقديم المجلدة الأولى الصادرة عام 1951. وهذا يعني انصرام أكثر من نصف قرن على عناية المجمع بالكتاب، ولمّا ينته بعد. وقد أوكل المجمع - كما أشرنا - تحقيق بقية الأجزاء إلى بعض الأفاضل من المحققين الجادّين، ونسأل الله تعالى أن يتم نعمته بإنجاز تحقيق ما بقي من الكتاب، ليعيد المجمع طباعته - إن شاء الله - في طبعته كاملة موحدة.

ولكن بعض دور النشر اللبنانية التجارية المتسرعة كدار الفكر في بيروت أقدمت على نشر الكتاب كاملاً فيما يزعمون، وكان ذلك عام 1994 إذ أصدروا الكتاب في ثمانين جزءاً حملت الأجزاء الخمسة والأربعون الأولى اسم المدعو علي شيري محققاً(؟) للكتاب، ثم أعادوا نشر الكتاب عام 1997 مرة ثانية في خمسة وسبعين جزءاً بعد أن صغّروا حرف الطباعة فجعلوا الفهارس ثلاثة أجزاء بدلا من ستة، وجعلوا المستدركات في جزأين بدلا من أربعة، ولكن بتحقيق المدعو: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي! ولكن المدهش أن اسم المدعو علي شيري قد اختفى من هذه الطبعة!.

لقد كان اعتمادهم في نشر هذا الكتاب على مصوّرة مخطوطة الظاهرية السليمانية) التي عدّوها أصلاً، وهذه المصورة هيأتها لهم - على الأرجح - المصورة التي أصدرتها مكتبة الدار في الرياض، أو التي أصدرتها دار البشير في عمّان. فهاتان المصورتان جعلتا المغامرين يَجترئون على نشر هذا الكتاب الضخم، لا يدفعهم إلى ذلك إلا الربح المادي

السريع من دون مراعاة لأصول علمية يتبعونها أو منهج يسيرون عليه. وهذه المخطوطة - مخطوطة الظاهرية - لا تصلح وحدها - كما هو معروف - لنشر الكتاب فضلاً عن اتخاذها أماً (أو كنسخة أم، كما يعبرون!)، فهي ليست كاملة وفيها من الطامات الشيء الكثير، وحسبنا ما ذكروه هم في وصفها: اعتمدنا النسخة المصورة من المكتبة الظاهرية كنسخة أم فيها نواقص كثيرة وثغرات هامة وتصحيفات وأخطاء كثيرة وبياض بين الكلمات والأسطر (مقدمة الجزء الأول بتحقيق العمروي ص37). وقد ذكروا أيضاً أنهم استعانوا بنسخة مصورة من خزانة مكتبة يوسف بمراكش والمعروفة بالنسخة المغربية(?)، كما اعتمدوا جزءاً من نسخة مصورة من مكتبة أحمد الثالث في القسم الخاص بالسيرة النبوية، كما أفادوا من مختصر ابن منظور وتهذيب بدران. (المقدمة ص 40-41). ولا ندري لم أغفلوا في مقدمة هذه الطبعة ما ذكروه في مقدمة الطبعة الأولى عام 1994 بتحقيق من دعوه علي شيري، فقد ذكروا في مقدمتها (ص36) أنهم اعتمدوا بالإضافة لما ذكره العمروي نسخاً مصورة من الخزانة العامة في الرباط، ومن دار الكتب الوطنية بتونس، ومن مكتبة الأزهر، كما أنهم استرشدوا بالملاحظات القيمة التي سطرها الأستاذان الدكتور صلاح الدين المنجد في مقدمته للمجلدة الأولى والدكتور شكري فيصل في مقدمته للجزء عاصم - عايذ(ص 44-45)ثم ذكروا في الرموز (ص51):

«- الأجزاء المطبوعة من تاريخ دمشق التي نشرها المجمع العلمي بدمشق أشرنا إليها بكلمة: المطبوعة»!!

على أية حال فهذه المطبوعة لا تصل بتحقيقها إلى الحد المطلوب، ففيها أخطاء كثيرة في كل جزء من أجزائها[63]» فضلاً عن الأسقاط الكثيرة أو البياض الكثير، والتحريفات والقراءات المغلوطة الفاشية فشواً عجيباً! .

وهذا ما عاينته بنفسي في أثناء تحقيق قسم من التاريخ يبدأ بمن إسمه (حجاج)- أسأل الله الفراغ منه قريباً- ومقارنته بهذه المطبوعة السقيمة.

ولم يقف الأمر عند هذه الطبعة السقيمة التي صدرت مرتين عن دار الفكر نفسها باسمين لمحققين (زعموا) مختلفين، فهناك طبعة أخرى أشد سقماً - وهي بالتأكيد منقولة عن طبعة دار الفكر هذه، وهذا ما ثبت لدي بالمقارنة- أصدرتها دار إحياء التراث العربي في بيروت عام 2001م، ولكنهم أغفلوا -في مصدرها- اسم المحقق المزعوم واكتفوا بكنيته ونسبته: أبي عبد الله الجنوبي؟!!

وهذه المطبوعة هي مسيخ مليخ - كما يقال- عن المطبوعة السابقة، لا تختلف عنها إلا بأمر واحد، وهو أن عبارات الترضي (رضي الله عنه) في الأولى قد تحولت في هذه أينما وقعت إلى (عليه السلام)!

كذلك أصدرت مؤسسة المحمودي في بيروت بضعة أجزاء من تاريخ ابن عساكر خصصتها - فيما أعلم- لتراجم علي بن أبي طالب ولابنيه الحسن والحسين وزين العابدين ومحمد الباقر - رضي الله عنهم- بين عامي 1398-1414 هـ.[64]

وقد تضخّمت التراجم في هذه الطبعة الصادرة عن تلك المؤسسة بما حشد فيها من أخبار تضخمت تضخماً غير معقول، جاوز ما جاء عند ابن

عساكر، فابن عساكر منها براء! فهل تصح أن تنتسب إليه أو تحمل اسمه؟!

ومن آخر الأجزاء المطبوعة من تاريخ ابن عساكر جزء لبس لبوس العلم واصطناع المنهجية العلمية في النشر، هذا الجزء المعنون بـ: سيرة السيد المسيح لابن عساكر الدمشقي، تحقيق سليمان علي مراد، وهو من منشورات المعهد الملكي للدراسات الدينية بالاشتراك مع دار الشروق في عمّان ودار الشروق في رام الله، الطبعة الأولى، عام 1996م. ويبدو من مقدمة التحقيق التي ينهيها المحقق بشكر أستاذيه كمال صليبي وطريف الخالدي اللذين شجّعاه على القيام بتحقيق ترجمة السيد المسيح أن العمل مقدّم في الأصل رسالة إلى إحدى الجامعات الأجنبية، إذ تبدو مقدمة التحقيق (من الصفحة 5 حتى 22) وكأنها مترجمة عن لغة أجنبية.

بدأها بالإشارة إلى مكانة المسيح عيسى ابن مريم المميزة في التشريع الديني الإسلامي، ثم عرف فيها بابن عساكر وبين السبب الذي دفعه إلى ترجمة عيسى ابن مريم في تاريخه على الرغم من أن المسيح لم يعرف عنه أنه عاش في دمشق فهو يعود إلى أحد تفاسير آية في القرآن هي: «وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» (سورة المؤمنون: 50)، فوفقاً لتفسير هذه الآية فإن الربوة المذكورة هي دمشق. ويبدو أن هذين السببين كانا المبرر لابن عساكر لإدخال ترجمة المسيح في تاريخه «(ص ص8-9)، وبعد أن يشير إلى سعة معرفة ابن عساكر

بالأخبار المتعلقة بالمسيح في الأدبيات الإسلامية، إذ أننا لا نجد في أي مصدر عربي آخر هذا الكمّ من الأخبار عن المسيح عيسى بن مريم، وكون هذه الأخبار جامعة لمعظم التقليد الإسلامي حول حياة المسيح في مرحلتيها الأولى والثانية... إذ كان ابن عساكر على إطلاع على بعض الأناجيل والتقليد المسيحي عبر المصادر الإسلامية »(ص9)، ينتقل في الصفحة 9 وما بعدها ليذكر لنا النسخ المعتمدة في التحقيق قائلاً: «اعتمدت في تحقيق هذا النص على نسختين مخطوطتين من تاريخ مدينة دمشق، الأولى نسخة مكتبة الظاهرية في دمشق (رمز لها بحرف أ) ونسخة مكتبة أحمد الثالث في إسطنبول (رمز لها بحرف ب). وتكاد تتطابق هاتان النسختان تطابقاً تاماً لولا وجود فرق بسيط جداً بينهما، وهو فرق تقني بحت. ففي نسخة الظاهرية [أ]، كتبت أسماء الأعلام بإسقاط حرف [ا] مثال على ذلك: القاسم كتبت القسم، خالد كتبت خلد...الخ. وهذه التقنية أي إسقاط حرف الألف هي طريقة متعارف عليها استعملها النسّاخ لهدف السرعة، فيكتب الاسم [كذا] من دون ألف، ولكنه بلفظ، كما لو كان موجوداً. أمّا الأسماء في نسخة أحمد الثالث [ب] فقد كتبت من دون إسقاط حرف الألف...س والاختلاف الآخر بين النسختين هو في ما يخص مفردات الإسناد كـ: حدثنا وأنبأنا. ففي حين دوّنت في[أ] بشكل شبه متواصل كاملة، نجد أن في [ب] دوّنت باختصار[كذا]، إذ أصبحت «حدثنا»، «نا»، و صبحت «أنبأنا»، «أنا». وهذه طريقة تقنية أيضاً استعملها النسّاخ للإيجاز والاستفادة من عامل الوقت

في النسخ « ص 20.» ومن العناصر التقنية الأخرى التي اتبعت في النسخ في كلا المخطوطتين تقنية إسقاط الهمزة في معظم الحالات وإبدالها بحرف الألف أو الواو أو الياء، حسب الكلمة، مثل الخطيئة كُتِبت الخطيّة، والمقرئ كُتبت المقري ... إلخ ، وقد قمتُ بإدخال الهمزة إلى هذه الكلمات لرفع الالتباس الذي يمكن أن يسببه غيابها في قراءة وفهم الكلمات (ص ص20-21).

ونظن في ما نقلناه عن « تقنيات» المحقق«الهمام» ما يغني عن الحديث عمّا عبث به في هذا النص «المحقق» المشحون بالتحريفات والتصحيفات وأخطاء الضبط والنسخ والنقل ومن إشارته في الهامش إلى آيات القرآن والأحاديث من دون أن يقوم بتصحيح الصياغة اللغوية في النص (مثلا في خبر رقم 1، في الأصل يمسني، والصواب يمسسني)!! ولم يزوّد الكتاب إلاّ بفهرس للأعلام غير دقيق، وهو في الوقت نفسه يذكر ترجمة من يقف لهم على ترجمة في أحد الكتب وكثيرا ما يخلط بين الأعلام الذين تتشابه أسماؤهم. ولسنا هنا بصدد قراءة نقدية لهذا التحقيق المزعوم الذي تزيّا - كما قدّمنا- بزي العلم والمنهجية العلمية.

ونختم بحثنا هذا بالإشارة إلى نصوص صغيرة منشورة من هذا التاريخ:

الأول: نشرته مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في المجلد الثامن لعام 1928 تحت عنوان: «تاريخ الأسطورة» (ص ٧٨ 84 -) جاء في مقدمته: «ظفرنا في الجزء الثامن عشر من تاريخ دمشق للحافظ ابن

عساكر في تراجم من أسمائهم (يحيى) بهذه الرواية من خبر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فأحببنا إطراف قرّاء مجلتنا بها خصوصا، وهي منقولة من مخطوط نادر من مخطوطات دار الكتب بدمشق». ثم يبدأ الخبر بذكر: يحيى بن عبد الله بن أسامة القرشي البلقاوي ... من أهل البلقاء عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان عمر بن الخطاب كثيرا ما يحدثنا عن أخبار الجاهلية وأهلها ... إلخ، والخبر يقرب من ست صفحات، فلعل المجمع يدفع بمن يحقق هذا الخبر من جديد بعد استقصاء خبر النسخة المشار إليها من الجزء الثامن عشر من التاريخ!!

الثاني :بعض النصوص التي ذكر في كتاب: ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته «أن بعض المستشرقين حققها ونشرها أو ترجمها وأفاد منها:

* جاء في الصفحة 1/373: نشر المستشرق نيكيتا اليسييف في المجلد (25) من «نشرة الدراسات الاستشراقية» التي يصدرها المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق بحثا بعنوان: «وثيقة معاصرة لنور الدين» ترجمة حياته بقلم ابن عساكر !

* وجاء في الصفحة 4/274: نشر الأستاذ تييري بيانكي في العدد (25) لعام 1972 من نشرة الدراسات الاستشراقية بحثا بعنوان: « رواية الحديث في سورية في العهد الفاطمي». ويشمل هذا البحث خمس تراجم لمحدّثين شاميين مستلة من تاريخ ابن عساكر. وقد نشر المستشرق هذه النصوص العربية مقدما لها ببحث وافٍ

وفي الصفحة نفسها إشارة إلى عملين آخرين للمستشرق نفسه معتمدا فيهما على تراجم مستلة من كتاب « تاريخ المستشرق» لابن عساكر. وذكر في الصفحة 342 من الكتاب نفسه أن المستشرق تريتون نشر قسما من تاريخ ابن عساكر يتعلق بخليج القسطنطينية في مجلة FF BSOAS22\1159\350 فلعل المجمع يكلف من يفحص عن أمر هذه النصوص ويعيد نشرها في مجلته إن لم تنتشر الأجزاء المتضمنة لها.

الثالث: هناك نص آخر منقول من تاريخ ابن عساكر بالوساطة، أعني ترجمة المتنبي أحمد بن الحسين شاعر العربية الأكبر منقولة من نسخة خطية من كتاب الإبانة عن سرقات المتنبي للعميدي محمد بن أحمد، حققها ونشرها الشيخ محمود محمد شاكر في كتابه: « المتنبي- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا » دار المدني بجدة ومكتبة الخانجي بمصر، 1407 هـ/ 1987، ص 659 .678 - وذكر الشيخ في الصفحة (396) أن الفضل كل الفضل في الوقوف على هذه التراجم الثلاث الأخيرة المتنبي عند ابن عساكر وابن العديم والمقريزي) مصروف إلى أخي وصديقي الأستاذ الجليل أحمد راتب النفاخ عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، نقل بعضها بخطه، وصوّر لي بعضها ...»

قلت: ومخطوطة الإبانة هذه محفوظة بدار الكتب المصرية تحت الرقم 2039 أدب، كما ذكر محقق الكتاب، إبراهيم الدسوقي الدمياطي في تقديمه الطبعة الثانية بدار المعارف بمصر سنة 1969، وقال في الصفحة (220) إن النسخة الأصلية كان ملحقا بها أربعة بحوث رابعها: نبذة من

أخبار أبي الطيب المتنبي مما أورده ابن عساكر في ترجمته في حرف الألف.

الحواشي:

[1] ينظر: تحقيق التراث الرؤى والآفاق، مجموعة من الباحثين، ص 14, 45, 58.

[2] انظر: قطوف أدبية حول تحقيق التراث، لعبد السلام هارون أيضاً، ص12. وهناك مفهومات أخرى لإحياء التراث قديماً وحديثاً. ففي العصور القديمة اتخذ إحياء التراث عدة أشكال منها: نسخ المخطوطات وتداولها على نطاق واسع، وهذا ما يقوم به الورّاقون والنسّاخون، ومنها: شرح التراث وتفسيره والتعليق عليه كشرح المفضليات وشرح الحماسة وشرح كتاب سيبويه وشرح المقامات، ومنها التلخيص والتهذيب والاختصار، كالتلخيص في علوم البلاغة، وتهذيب الأسماء والصفات واختصار تاريخ ابن عساكر لابن منظور وغير ذلك.

انظر: قطوف أدبية حول تحقيق التراث لعبد السلام هارون، ص31-34, ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي لمحمود محمد الطناحي ص25-26. أما مفهوم الإحياء في عصرنا هذا فقد اختلف الباحثون حوله اختلافاً شديداً لا داعي للخوض فيه، وحسبنا الإحالة إلى المراجع الآتية: نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى لفهمي جدعان ص24-25, والتراث والمعاصرة لأكرم ضياء العمري ص 31-35, ودور المخطوطات في مشروع إحياء التراث لمحمد قجة ضمن محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران ص31, والتحقيق وإحياء التراث لشكري عزيز ماضي ضمن تحقيق التراث الرؤى والآفاق، ص 61-62.

[3] ظهرت كتب كثيرة لعرب ومستشرقين عُنيت بنشر أصول نقد النصوص وقواعد تحقيق المخطوطات، من أمثال عبد السلام هارون، وصلاح الدين المنجد، ومصطفى جواد، وبرجشتراسر، وشارل بلا وسوفاجيه. انظر تعريفاً شاملاً بالكتب التي قعّدت لتحقيق المخطوطات مقالة عباس هاني الجرخ؛ ما ألف في مناهج التحقيق قائمة وراقية تحليلية: توثيق ودراسة، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 2/82]نيسان 2007م[، ص 277-300.

[4] انظر: منهج نشر التراث في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، لصلاح الدين المنجد، ضمن ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر ص 337-352.

[5]انظر: دور المخطوطات في مشروع الإحياء الإسلامي لمحمود مصطفى حلاوي ضمن محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران، ص 22. ولكن يرى بعض الباحثين أن «ليس كل موروث يجب إحياؤه

وتحقيقه بالمعنى الدقيق لمفهومي الإحياء والتحقيق، لأنه ليس من الإحياء في شيء إعادة طبع كتاب اصفرّت أوراقه في كتاب ابيضّت فيه تلك الأوراق، أو نقل المادة من مخطوط إلى مطبوع من غير النظر إلى قيمة المخطوط والفائدة التي يمكن أن تجنى أولاً وقبل كل شيء من تحقيقه ونشره وإلى الهدف منه بحيث يخرج قارئه ودارسه بروح يستمدّها ممّا قرأ أو درس ليبثّها في حناياه. انظر: تحقيق التراث لماذا وكيف؟! يوسف حسين بكار، ضمن تحقيق التراث الرؤى والآفاق ص 46, وهو يلخّص في هذه الكلمات رأي الدكتور زكي نجيب محمود في مقالته المنشورة في مجلة العربي الكويتية، العدد 265 [ك1 1980] بعنوان إحياء التراث وكيف أفهمه.

[6] ينظر على سبيل المثال: التراث العربي لعبد السلام هارون ص 3-5, ومناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين لرمضان عبد التوّاب، ص 8-10, وتحقيق التراث لعبد الهادي الفضلي، ص 44-45, وجهود القدماء والمحدثين في وضع الأصول العلمية لأسس تحقيق التراث، ليلى توفيق العمري، ضمن تحقيق التراث، الرؤى والآفاق، ص 439-440, والتراث والمعاصرة، أكرم ضياء العمري ، ص 25-28, ويتحدث العمري [ص29] عن معنى التراث [LEGACY] في الحضارة الغربية المعاصرة، فهو يطلق على المخلفات الحضارية والثقافية والدينية. فالروح العلمانية غير الدينية جعلت الفكر الغربي الحديث لا يميز بين الدين وبقية الإرث الحضاري، بل هو يتعامل مع التراث على سواء بين ما مصدره الإنسان المخلوق وما مصدره الإله الخالق. وهنا يمكن خطر اعتبار الدين تراثا ضمن الظلال العلمانية الغربية التي أحاطت بمصطلح التراث ويخص فهمي جدعان في نظرية التراث ص 17 التراث بالمبدعات الإنسانية لأنه بطبيعته عمل إنساني خالص يدور في دائرة العربية أو الإسلام أو الاثنتين كلتيهما. ويستبعد د.علي بن إبراهيم النملة أن يكون القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة سندا ومتنا من التراث، لأن هذه المصادر كاملة بكمال الدين، وإنما النقص يعتري المطبقين لهذا الدين. انظر بحثه: أثر المستشرقين في خدمة التراث العربي، ضمن ندوة تاريخ الطباعة ص 308.

[7] التراث العربي، عبد السلام هارون، ص 7.

[8] أثر المستشرقين في خدمة التراث العربي الإسلامي، لعلي بن إبراهيم النملة، ضمن ندوة تاريخ الطباعة ص 309.

[9] دراسات في الكتب والمكتبات، عبد الستار الحلوجي، ص169 نقلاً عن النملة، أثر المستشرقين في خدمة التراث العربي ص 309.

[10] قطوف أدبية حول تحقيق التراث ص 73, ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص 33-34.

[11] مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص 34

[12] مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص25-26, وتاريخ الطباعة في الشرق العربي، خليل

صابات ص 12-14, والمستشرقون لنجيب العقيقي 1/357.

[13] أوائل المطبوعات العربية في مصر، محمود الطناحي، ضمن ندوة تاريخ الطباعة العربية ص 355.

[14] مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص 213.

[15] المستشرقون للعقيقي1/357, وأوائل المطبوعات العربية في مصر للطناحي ص 355 حيث يصف الكتاب - كما جاء في عنوانه - بأنه: «صلاة السواعي، الصلوات الليلية والنهارية حسب طقوس كنيسة الإسكندرية الأرثودكسية». ويذكر أنه في [211] صفحة في حين يذكر العقيقي 1/357 أنه في [120] صفحة!

[16] انظر تاريخ الطباعة في الشرق العربي ص 17-18و121, والمستشرقون للعقيقي 1/358.

[17] الطباعة العربية في أوربا، قاسم السامرائي، ندوة تاريخ الطباعة العربية ص 355.

[18] الطباعة العربية في أوربا ص 54 وما بعدها والمستشرقون 1/357-359.

[19] الطباعة العربية في أوربا ص 57 وما بعدها.

[20] يعلّق شيخ العربية محمود محمد شاكر - رحمه الله- على قلة الأعداد التي كان يطبعها المستشرقون ممّا حققوه من كتب في «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» كتاب الهلال، العدد 489, القاهرة، أيلول سبتمبر1991 ، ص 78, الحاشية 1 قائلاً: لا تصدق من يقول لك إن الاستشراق قد خدم اللغة العربية وآدابها وعلومها، لأنه نشر هذه الكتب التي اختارها مطبوعة، فهذا وهم باطل. كانوا لا يطبعون قطّ من أي كتاب نشروه أكثر من [500] نسخة - ولم تزل هذه سنّتهم إلى يومنا هذا- توزّع على مراكز الاستشراق في أوربا وأمريكا،وما فضل بعد ذلك وهو قليل جدا، كانت تسقط منه على بلاد العرب المسلمين النسخة والنسختان والعشرة على الأكثر، لم يسعَوْا قط إلى تسويقها بين ملايين العرب والمسلمين، كما يسوّقون بضائعهم وتجارتهم وسائر ما ينتجون، بين هذه الملايين طلباً لربح المال. هدفهم كان ما قلت لك لا غير.

[21] انظر: عرضاً موسعاً لجهود المستشرقين في طباعة الكتب العربية ونشر التراث العربي حتى نهاية القرن الثامن عشر: دور الاستشراق في نشر التراث العربي الإسلامي في أوربا في عصر النهضة، للدكتور جمال جودة، ضمن: التراث العربي الرؤى والآفاق ص 785-790.

[22] مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص 217. ويذكر هنا أن الشيخ محمود محمد شاكر اختار تسمية «جمهرة» بدلاً من «دائرة المعارف» أو «الموسوعة» انظر رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ص 79, ح1. ومنذ أوائل القرن العشرين اختار محمد كرد علي تسمية «المعلمة» بدلاً من «دائرة المعارف» أو «الانسيكلوبيديا» انظر: المذكرات 125/5, بتحقيق قيس الزرلي، منشورات المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق 2008م.

[23] أصول نقد النصوص ونشر الكتب ص 11-12.

[24] قطوف أدبية حول تحقيق التراث ص 38-39, وقد ورد عنده أن بيفان هولندي، وجاير ألماني، والصحيح ما أثبتناه. وفي جهود المستشرقين عموما وفي تراجم من ذكرهم هارون ينظر: المستشرقون لنجيب العقيقي، وموسوعة المستشرقين لعبد الرحمن بدوي، ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي للطناحي]فصل جهود المستشرقين في نشر التراث ص 206- 283, وهو فصل قيّم جدير بالقراءة، ففيه تقويم موضوعي منصف لأعمالهم، وفي تراجم لطوائف مختارة منهم من بلدان مختلفة.

[25] مذكّرات محمد كرد علي ج125/5.

[26] أثر المستعمرين من علماء الشرقيات في الحضارة العربية ص 30, ضمن: محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق، الجزء الثالث، 1374هـ -1954. وانظر: أثر المستشرقين في خدمة التراث العربي الإسلامي، د.علي إبراهيم النملة ص 311 وقد أحال إلى محاضرة كرد علي نفسها في مجلة المجمع العربي بدمشق، المجلد 7 لعام 1927, ص 455.

[27] قطوف أدبية حول تحقيق التراث ص 38. وانظر مقدمتي كتابه: «تحقيق النصوص ونشرها» حيث يذكر أنه صاحب أول كتاب عربي يظهر في عالم الطباعة معالجاً فن تحقيق النصوص ونشرها ص7 ، وأنه تمكّن من أن يضع علماً متكاملاً لم يسبق إليه من تجارب العلماء القدماء ومن تجاربه الخاصة التي ترسّم فيها خطاهم زهاء أربعين عاماً]ص8 من الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة 1977, والكتاب صدرت طبعته الأولى عام 1954م.

[28] مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص 92و274-276, حيث يذكر أن الوسائل العلمية الجيدة التي اصطنعها المستشرقون في نشر التراث مأخوذة ممّا صنعه علماؤنا الأوائل، كجمع النسخ ومقارنة بعضها ببعض واختيار النسخة الأم وصناعة الفهارس والحرص على ذكر المصادر والمراجع حتى علامات الرقيم.

[29] البحث الأدبي ص 187. وانظر حول صنيع اليونيني ومناهج علمائنا القدامى في التحقيق: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، للدكتور رمضان عبد التواب ص 13-53.

[30] تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة ص 15.

[31] نفسه ص42. وعلّق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على كلام الشيخ شاكر في حاشية الصفحة قائلاً : « سيتبين لك بجلاء ووضوح أن هذه لفهارس العامة قد سبق إلى ابتكارها المسلمون قبل 800 عام». ويضرب مثلاً على هذا كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير المتوفى سنة 606, حيث زوّده ابن الأثير بالفهارس العامة، وبفهرس للألفاظ كإن ابن الأثير هو أول من ابتكره من نحو ثمانية قرون وقبل نحو ثمان مئة سنة من أصحاب « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي». ثم عرض

نماذج من فهرس الألفاظ عند ابن الأثير. انظر ص 76-87 من الكتاب نفسه

[32] تراثنا بين ماض وحاضر، بنت الشاطئ، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1968, ص .61

[33] تحقيق التراث الرؤى والآفاق ص 303.

[34] نفسه ص 413.

[35] المستعربون من علماء المشرقيات، كرد علي ص 125.

[36] تراثنا بين ماض وحاضر ص 40 نقلاً عن خطط الشام، ط دمشق 198/6. وانظر: أثر المستعمرين من علماء المشرقيات ص 6-7, وتغريب التراث العربي بين الدبلوماسية والتجارة، د.محمد عيسى صالحية، دار الحداثة، بيروت، ط2 1985, ص 7-24, وتحقيق التراث الرؤى والآفاق ص 687.

[37] تراثنا بين ماض وحاضر ص 41.

[38] نفسه ص 33- 40, ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص 22, وأثر المستشرقين في خدمة التراث العربي ص 310, وينقل عن حمد الجاسر أسفه لوقوفه على مخطوطات تباع على قارعة الطريق في إحدى مدن المملكة العربية السعودية على الساحل الشرقي! كما يروي عن أستاذه فوزي فيض الله « وجود ظاهرة استخدام ورق المخطوطات عند باعة الحّب يلفونها على شكل» محقان« مغلق من جهته التحتية ويوضع به ما يشتريه المارة من الحَب للتسلية، ومن ثم ترمى هذه الورقة في الطريق».

[39] التراث العربي، عبد السلام هارون ص 44-45.

[40] نفسه ص 45-47, ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص 31-35.

[41] انظر ما يقوله أحمد محمد شاكر عن الكتب التي تطبع في مصر منقولة عن طبعات أوربية بعد إسقاط الفهارس والتعليقات وما تحفل به هذه المطبوعات من أخطاء وسوء طباعة، لا يستثني منها « في غمرة هذا العبث قلة من الكتب طبعت في مطبعة بولاق قديماً، عندما كان فيها أساطين المصحّحين، أمثال الشيخ محمد قطة العدوي، والشيخ نصر الهوريني، وفي بعض المطابع الأهلية كمطبعة الحلبي والخانجي». انظر: تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة ص 10, وانظر مقارنة الأستاذ محمد كرد علي بين مطبوعات المستشرقين وما يطبع في الأستانة وفي مصر، في: أثر المستعربين من علماء المشرقيات ص 29-30.

[42] ضمن ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر ص 352-377, حيث يذكر أن كتباً تراثية كبيرة طبعت في مصر والقسطنطينية لم يذكر فيها الأصل الذي أخذت عنه، وبعض الكتب يعاد طبعها عن طبعة سابقة دون بحث عن نسخ مخطوطة ولا ذكر لتصحيح أو تقويم، وكذلك بعض الكتب نقلت عن طبعات أوربية... إلى غير ذلك.

[43] منهج تحقيق المخطوطات، إياد خالد الطباع، دار الفكر بدمشق، ط1 2003, ص 20. ويورد المؤلف عقب ذلك جدولاً يبين نهاية القرن التاسع عشر. وانظر حول الكتب التي طبعت في مصر منذ إنشاء مطبعة بولاق إلى نهاية القرن نفسه: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص 33-34.

[44] التراث العربي لهارون ص 47, وحول مطبعة بولاق وتأسيسها وما نشر فيها انظر: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص 31-34.

[45] مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص 31.

[46] أوائل المطبوعات العربية في مصر، ص 359.

[47] نفسه، ص 357.

[48] انظر التعريف بهم وبجهودهم: أوائل المطبوعات العربية في مصر، ص 364-366, والتراث العربي لهارون ص 53.

[49] مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، ص 58.

[50] انظر: ما ألف في مناهج التحقيق قائمة وراقية تحليلية، عباس هاني الجراخ، في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 82 لعام 2007, ص 277-300, وجهود القدماء والمحدثين في وضع الأصول العلمية لأسس تحقيق التراث العربي، ليلى توفيق العمري، ضمن تحقيق التراث الرؤى والآفاق، ص 437-522. فهما - فيما أعرف- أجمع من كتب في هذا الشأن.

[51] انظر: أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه: نص التقرير الذي وضعته لجنة مختصة في بغداد، أيار 1980, منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط1, الكويت 1985.

[52] أثر المستشرقين في خدمة التراث العربي، ص 321.

[53] نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى ص 25.

[54] التحقيق وإحياء التراث، شكري ماضي، ضمن تحقيق التراث الرؤى والآفاق، ص 61.

[55] تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة , ج1 ص 11 .

[56] معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف اليان سركيس، مطبعة الهلال، القاهرة 1928, ص 658.

[57] انظر آراء الدكتور شاكر الفحام والدكتور شكري فيصل والأستاذ عبد المعين الملوحي في كتاب: ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة عام على ولادته، الصفحات: يو، 236-238, 225, 228-229.

وانظر كذلك ما علقه الدكتور محمد مصطفى زيادة على كتاب ابن عساكر بعد نشر المجلدة الأولى منه في ص 219-220 من المرجع المحال إليه نفسه، إذ يصفه بأنه زمن أوائل الكتب الوطنية بالشام... وأنه أصل عريق من أصول الوطنية في الشرق الأوسط وأن الاهتمام بإحياء الكتب القديمة ليس للتقوى والزلفى فحسب، بل لبناء حاضر الثقافة في أم هذا الشرق على أسس منهس، وانظر كذلك حول المؤلف وكتابه وأهميته، مائة أوائل من تراثنا، د.سهيل زكار، دار حسان للطباعة، دمشق 1982, ص 393-398.

[58] صدر الكتاب الأول: «ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته» عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بوزارة التعليم العالي -دمشق عام 1979, وفيه كل ما كتبه القدماء والمحدثون عن ابن عساكر مع التعريف بمؤلفاته ومخطوطات هذه المؤلفات وما طبع منها. وقد قدم للكتاب الدكتور شاكر الفحام - رحمه الله- وأشرف على تحريره وطباعته الأستاذ مطاع الطرابيشي، جزاه الله كل خير.

أما الكتاب الثاني: الحافظ ابن عساكر... فهو من تأليف الزميل الدكتور محمد مطيع الحافظ، من منشورات دار القلم بدمشق عام 1424هـ- 2003م في سلسلة المسلمين 88. وهو كتاب حافل شامل يقع في 375 صفحة.

[59] انظر مقدمة الدكتور شكري فيصل للجزء الخاص بتراجم حرف العين المتلوّة بالألف من عاصم - عايذ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق عام 1977, ص 5-24, وقد أخذنا من هذه المقدمة فنصصنا على ما نقلناه حرفياً، وما لم ينصص تصرّفنا في عرضه، وهو كله من كلام الشيخ رحمه الله.

وقد أورد هذه المقدمة الأستاذ مطاع الطرابيشي في الكتاب المذكور في الحاشية، ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة علم على ولادته» ص 233-254.

[60] لا ندري سبب إغفال محرر كتاب: « ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة عام على ولادته» هذا النقد الذي استغرق صفحة واحدة من القطع الكبير وقد تضمن آراء كتاب المقدمة وصلاح الدين المنجد ويوسف العش ومحمد أحمد دهمان وأحمد عبيد!

[61] انظر الملحق بهذا البحث، وفيه تبيان لما طبع وما لم يطبع من تاريخ ابن عساكر. والملحق من صنع العاملين في مجمع اللغة العربية بدمشق، جزاهم الله خيراً. وما زيادة عليه سيذكر في متن البحث.

[62] ص 200و206 من كتاب: في المخطوطات العربية: قراءات تطبيقية، لإسماعيل إسماعيل مروة، دار الفكر بدمشق 1997م. وانظر حوار السيدة سكينة تاريخ دمشق مع مؤلف الكتاب كاملاً ص 199-206.

[63] انظر: الحافظ ابن عساكر محدّثها ومؤرخها الكبير، ص 483-484.

[64] انظر الملحق: التراجم المفردة، وقد أعاد طباعة بعض هذه التراجم بالتصوير مجمع إحياء الثقافة

الإسلامية في قم عام 1414هـ، انظر: ملاحظات على أعمال علمية لمخطوطات عربية مطبوعة في إيران من مقتنيات مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، لخير الله الشريف، ضمن: محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران، ص 1160.

المصادر والمراجع

- ابن عساكر في ذكرى مرور تسعمائة سنة على ولادته 499-1399هـ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية دمشق 1977.
- أثر المخطوطات في حركة إحياء التراث الإسلامي- أثر العلماء الدمشقيين، د.نزار أباظة ص235-245 في: محاضرات مؤتمر المخطوطات العربة في إيران.
- أثر المستشرقين في خدمة التراث العربي الإسلامي،د.علي إبراهيم النملة، ص 305-335 في: ندوة تاريخ الطبعة العربية.
- أثر المستشرقين من علماء الشرقيات، محمد كرد علي، ص1-31 ف: محاضرات المجمع العلمي العرب، الجزء الثالث.
- أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه نصّ التقرير الذي وضعته لجنة مختصّة في بغداد من 6-15 رجب 1400 هـ الموافق 20-29 مايو أيار 1980 ، منشورات معهد المخطوطات العربة للتربة والثقافة والعلوم الكويت 1405 هـ 1969.
- أصول نقد النصوص ونشر الكتب، برجشتراسر، إعداد وتقديم د. محمد حمدي البكري، دار الكتب المصرية- مركز تحقيق التراث القاهرة 1969.
- أوائل المطبوعات العربة في مصر، د. محمود محمد الطناحي ص 353 -338 في: ندوة تاريخ الطباعة العربية.
- البحث الأدبي: طبيعته - مناهجه - أصوله- مصادره د. شوق ضيف، ط1 دار المعارف بمصر 1972.
- تاريخ الطباعة في الشرق العرب،د. خليل صابات، ط1 دار المعارف بمصر 1958.
- تاريخ المجمع العلمي العرب، أحمد الفتح، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 1375هـ 1956.

- تحقيق التراث،د. عبد الهادي الفضلي، دار الشروق جدة 1410هـ 1990م، ط2.
- تحقيق التراث الرؤى والآفاق، أوراق المؤتمر الدولي لتحقق التراث العربي الإسلامي، إعداد وتحرير د. محمد محمود الدروبي، منشورات جامعة آل البيت، المفرق، عمّان ج1-3, 1427 هـ 2006م.
- تحقيق التراث: لماذا وكيف؟ د. يوسف حسين بكار، ص 43- 54 في تحقيق التراث: الرؤى والآفاق
- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، ط4 مكتبة الخانجي بالقاهرة 1397هـ 1977م
- التحقق وإحياء التراث،د. شكري عزيز الماضي،ص 55-64 في: تحقيق التراث: الرؤى والآفاق
- التراث العربي، عبد السلام هارون، سلسة كتابك، دار المعارف بمصر 1978
- التراث والمعاصرة، أكرم ضياء العمري، كتاب الأمة الدوحة شعبان 1405 هـ 1985م
- تراثنا بين ماض وحاضر،د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1968.
- تصحيح الكتب وضع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكلمات وسبق المسلمين الإفرنج في ذلك، بقلم أحمد محمد شاكر، اعتنى به وعلق عليه وأضاف إليه عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب دار البشائر الإسلامية بيروت 1414 هـ 1993م
- جهود القدماء والمحدثين في وضع الأصول العلميّة لأسس تحقيق التراث العرب، ليلى توفق العمري، ص 437-522 في: تحقق التراث: الرؤى والآفاق
- الحافظ ابن عساكر محدّث الشام ومؤرخها الكبير، د.محمد مطيع الحافظ، دار القلم بدمشق 1424 هـ 2003م، سلسلة أعلام المسلمين 88.
- دور الاستشراق في نشر التراث الإسلامي في أوربا في عصر النهضة،د.جمال جودة، ص 785-795, في: تحقيق التراث الرؤى والآفاق.
- دور المخطوطات في مشروع الإحياء الإسلامي، محمد قجة، ص 28-37 في: محاضرات مؤتمر المخطوطات العربة في إيران.

- دور المخطوطات في مشروع الإحياء الإسلامي،د. محمود مصطفى حلاوي، ص 225-234 في: محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران.

- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، محمود محمد شاكر، كتاب الهلال العدد 489 دار الهلال القاهرة 1991م

- الطباعة في أوربا،د.قاسم السامرائي ص 45-108 في: ندوة تاريخ الطباعة العربية.

- في المخطوطات العربية، قراءات تطبيقية، إسماعيل إسماعيل مروة، دار الفكر بدمشق 1997م

- قطوف أدبية، دراسات نقدية في التراث العرب حول تحقيق التراث، عبد السلام محمد هارون، مكتبة السنة - القاهرة 1409 هـ 1988م

- كنوز الأجداد، محمد كرد علي، دار الفكر بدمشق 1404-1984.

- ما ألف في مناهج التحقيق، قائمة وراقية تحليلية: توثيق ودراسة د.عباس هاني الجراخ، ص177-300 في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 82/ج2/ نيسان أبريل 2007

- مائة أوائل من تراثنا،د. سهيل زكار،ط2 دار حسان للطباعة والنشر، دمشق 1402-1982م

- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 82/ج2/ نيسان أبريل 2007.

- محاضرات المجمع العلمي العرب الجزء الثالث، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 1374هـ 1954م.

- محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران، دمشق 18 و 2002/5/19 المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق 1423 هـ/2002.

- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مع محاضرة عن التصحيف والتحريف،د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي القاهرة 1405 هـ 1984م

- المذكرات، محمد كرد علي، الجزء الخامس، تحقيق قيس الزرلي، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى- دمشق 2008.

- المستشرقون، نجيب العقيقي، ط3 دار المعارف بمصر 1964- 1965

- المستعربون من علماء المشرقيات، محمد كرد علي، ص 124-139 في: المذكرات، الجزء الخامس

- معجم المطبوعات العربية والمعربة يوسف إليان سركيس، القاهرة 1928.

- ملاحظات على أعمال علمية لمخطوطات عربية مطبوعة في إيران من مقتنيات مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، خير الله الشريف، في: محاضرات مؤتمر المخطوطات العربية في إيران، ص 98-122.

- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين،د. رمضان عبد التواب،ط1 مكتبة الخانجي القاهرة 1406هـ 1986م

- منهج تحقيق المخطوطات، ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، إياد خالط الطباع،ط1 دار الفكر بدمشق 1423هـ 2003م

- منهج نشر التراث في أوائل القرن الرابع الهجري،د. صلاح الدين المنجد،ص 337-352 في ندوة تارخ الطباعة العربية

- موسوعة المستشرقين،د. عبد الرحمن بدو،ط3 دار العلم للملايين - بيروت 1993.

- ندوة تاريخ الطباعة العربية حتى انتهاء القرن التاسع عشر، 28-29 جمادى الأولى 1416هـ 22-23 أكتوبر تشرين الأول 1995 الوقائع والبحوث التي ألقيت فيها، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث- دبي والمجمع الثقافي - أبو ظبي 1996.

- نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى،د. فهمي جدعان، ط1 دار الشروق للنشر والتوزيع عمّان 1985.